

كانت المقالات القصصية التي تهدف الى الاصلاح الاجتماعى هي النواة الأولى فى حقل القصة القصيرة العربية . جاءت هذه البداية فى مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين على أيدى عبد الله نديم ، والمويلحى الأب والابن ، وصالح حمدى حماد ، ومصطفى لطفى المنفلوطى، ومصطفى عبد الرازق . وليس معنى ذلك انها مرحلة تاريخية تجاوزناها ، فمزال المقال القصصى يقوم بدوره حتى اليوم . ومازلنا بحاجة اليه لنصب فى وعائه الواسع العلاج الناجع لبعض أدوائنا ، أو ليكشف عن الوجه القبيح لمخلفات عصور النخاسة بأسلوبه الشيق المشوق عند المتكئين من أنصاره . ولكن معناه انها مرحلة تاريخية بدأنا بها السير الحديث فى مجال القصص ، وشكل فنى مازلنا نتابعه وان لم يتتبع النقد مسيرته ، فتعرض لنكسات متعددة ، مع تعدد فقد كتابه الكبار . بيد أننا لا ننكر أن عصره الذهبى هو عصر دعوات الاصلاح . لما يتطلبه هذا العصر من جهير بالوعظ والارشاد .

وإذا نظرنا الى الأمة العربية فى مجموعها ، فسوف نرى انها لم تبعد كثيرا عن هذا العصر .

ومازالت الجماهير الغفيرة الراقدة فى سبات الغفلة - حتى فى الأقاليم التي تخطت حدود هذا العصر الى حد ما - بحاجة الى من يأخذ بيدها ليبصرها بأمراضها بأسلوب صريح مباشر يفص بالحكايا والنبادر والأخبار والخواطر والمفارقات والمقابلات . صحيح ان أذواق المتأدبين فى هذه الأقاليم الأخيرة قد مجت الصخب ، الا ان المقالة القصصية الجيدة تعد أثرا فنيا يشبع حاسة الفن فينا ، الى جانب كونها دعوة اصلاحية جهيرة أو متوارية . وقد غفل نقادنا - بغير استثناء - عن طبيعتها الخاصة فطبقوا عليها معايير القصة القصيرة لتبدو صورة بدائية أو مشوهة لها ، فى حين انها فن مستقل من فنون القص له خصائصه المميزة كالحكاية ، والخبر ، والنادرة ، والسيرة ، والمقامة ، والرواية ، والقصة القصيرة ، والقصة الطويلة ، والقصة جدا . انه يتأثر بهذه الفنون ويؤثر فيها بحكم كونه أحد أفراد العائلة الواحدة ، الا ان الانصاف يقتضى ان نتعامل معها جميعا فى يقظة تامة ، فلا نستعير موازين احدها لوزن الأخرى ، والا جاءت النتيجة مجحفة ومشوهة للموزون ، وفى غير صالح الميزان .

والمقال القصصى وعاء واسع يستضيف عددا لا بأس به من أفراد عائلته ، وأحيانا قبيلته التي تضم فنون القول الأخرى كالشعر . وقد وعى كتابه الأول هذه الحقيقة ، فكان صالح حمدى يقدم مقالاته بعبارات مثل : « مقال أدبى عصرى يتضمن قصة خيالية وموعظة أخلاقية » (٤) .